جامعة بنها ـ كلية : التربية

الشعبة: اللغة العربية والدراسات الإسلامية
الفرقة: الأولى (تعليم أساسى)

نموذج إجابة لمادة: مدخل إلى البلاغة و النقد

الزمن: ساعتان . الفصل الدراسى الثانى ٢٠١٤ . ٢٠١٥

أطيب المنى د. أحمد شحاتة علوانى ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية

نموذج الإجابة

السؤال الأول: ما المقصود بالمصطلحات الآتية:

. (البلاغة . الفصاحة . النقد) عرفهم بين اللغة والاصطلاح.

معنى النقد في اللغة: ورد في لسان العرب لابن منظور أن: النَّقْدَ هو: تَمْيِيزُ الدّراهِمِ وإخراجُ الزَّيْفِ مِنْها.

معنى النقد في الاصطلاح: هو علمٌ يبحث فى طبيعة الأعمال الأدبية، وخصائصها، وقيمتها الفنية، يتعلق بالحكم عليا، وتمييز الجيد من الرديء منها سواء أكانت هذه الأعمال شعرية أم نثرية. ويرى "جولدمان" أن «النقد الأدبى أوّلاً وقبل كلّ شيء هو الدراسة العلميّة للأثر وهذه الدّراسة تخصص على أساس فهم وتفسير الأثر».

البلاغة في اللغة

البلاغة: اسم مشتق من الفعل (بلغ) الذي يعنى الوصول والانتهاء أو إدراك الغاية، حيث يُقال: بلغ المسافر المدينة أي انتهي إليها. وبلغ فلان مراده أي وصل إليه وأدركه.

ومن الجدير بالذكر أن "ابن منظور" في "لسان العرب" يرى أن البلاغة: هي الفصاحةُ، وأن البليغ من الرجال هو حسنُ الكلامِ، فصيحه، الذي يُبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بلغاء ومن الواضح أن "ابن منظور" لا يفرق بين الفصاحة والبلاغة فيراهما بمعنى واحد. والمهم هنا أنه يرى البلاغة هي بلوغ المعنى إلى قلب السامع.

وبذلك فالبلاغة تدل على البلوغ والانتهاء والوصول، وتركز على إيصال معنى الخطاب إلى القارئ أو المستمع بإيجاز.

البلاغة في الاصطلاح

هي مراعاة مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، كما أن البلاغة تعنى الوضوح والإبانة، فالمتحدث لابد من أن يُبلغ المتلقي ما يريده في لفظ فصيح وقول بليغ ومعنى واضح، يراعى فيه مقتضى الحال، لأن لكل مقام مقال . فلا بد من مراعاة مقتضى الحال، ومقتضى الحال هو الصورة التي تورد عليها العبارة البليغة، فالشكر والاعتذار مثلاً يقتضيان الإيجاز، والمدح والفخر يقتضيان الاطناب. وإيراد الكلام موجزًا في الشكر والاعتدار أو بالاطناب والتطويل في المدح والفخر مطابق لمقتضى الحال. والعامل الأساسى فى ذلك كله يرجع إلى بلاغة المتكلم، حيث يرى "الخطيب القزوينى" أن: «بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ» وهي ملكة تكتسب بالدربة والمران ومعايشة التراكيب الجيدة والتعابير الرفيعة.

الفصاحة في اللغة

هي الظهور والبيان، يقول "ابن منظور" في مادة فصح، الفصاحةُ: البيانُ، فَصُحَ الرجلُ فصاحة فهو فصيحٌ من قوم فُصَحاء. تقول: رجلٌ فصيحٌ، وكلامٌ فصيحٌ أي بليغ ويقال أفصح الصبي أي بان كلامه وظهر منطقه، ويقال: فَصُحَ الأعجمي وأفصح؛ إذا خلصت لغته من اللُّكْنة واللحن، وانطلق لسانه بالعربية، ومنه قوله عز وجل: (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي) أي : أبين مني منطقًا ، وأظهر مني قولاً .

الفصاحة في الاصطلاح

هي القدرة على التعبير عن المراد بلفظ فصيح صحيح، وسلامة التعبير وصحته تكون بالبعد عن اللحن والغرابة والتعقيد والتنافر ومخالفة القياس. وبذلك تشمل الفصاحة تحرى السلامة اللغوية والبيانية.

إذن فالكلام الفصيح هو الكلام الصحيح المستعمل المستحسن لا المتروك المستهجن، فالكلام المفهوم الذي لا لحن فيه ولا عجمة هو كلام فصيح. ومن ثم فالشخص الفصيح هو شخصٌ منطلق اللسان، حسن البيان، جيد المنطق والمقال، لأن قوله يقع موقعًا حسنًا لدى المتلقي فيفهمه، ويتأثر به، ويتفاعل معه.

==========

السؤال الثاني: فى ضوء دراستك لشروط الفصاحة، استخرج العيوب التى أخلت بفصاحة الأمثلة الآتية، وعلقّ عليها بإيجاز:

١. وما مِثْلُهُ في النَّاسِ إلا مُملَّكًا ** أَبُوُ أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ. (التعقيد اللفظى)

٢. قَدْ قُلْتُ لَمَّا اطْلَخَمَّ الأَمْرُ وَانبَعَثَتْ ** عَشْوَاءُ تَالِيَةً غُبْسًا دَهَارِيسَا. (الغرابة)

٣. قَلِيلِ ادِّخَارِ الزَّادِ إلاَّ تَعِلَّةً *** وَقَدْ نَشَزَ الشُّرْسُوفُ وَالْتَصَقَ المِعَى. (التنافر)

٤. إنَّ بَنِيَّ لَلِئَامٌ زَهَدَهْ *** ما ليَ في صدورِهم مِنْ مَوْدَدَهْ. (مخالفة القياس)

٥. ولو أَنَّ مَجدًا أَخْلَدَ الدهْر واحِدًا *** مِنَ النَّاسِ أَبْقى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطعِما. (ضعف التأليف)

السؤال الثالث: (اكتب فى اثنين فقط) مما يأتى:

١. اذكر القضايا البلاغية والنقدية المطروحة في "صحيفة بشر بن المعتمر" .

أهم القضايا المطروحة في الصحيفة

إن صحيفة "بشر بن المعتمر " السابقة رغم صغر حجمها، إلا أنها تحمل في مضمونها مجموعة من الأسس ا لأدبية والبلاغية والنقدية مثل : قضية اللفظ والمعنى، وقضية الطبع والتكلف، وقضية الفصاحة والبلاغة ...، وما يهمنا فيها هو بعض الأركان البيانية والبلاغية المطروحة لمن أراد فصاحة اللفظ وبلاغة المعنى أو ممارسة الكتابة أو التصدي للخطابة بين الناس، كما أن الصحيفة تطرح التعريف المشهور للبلاغة : (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) وفيما يلي يمكن عرض أهم القضايا المطروحة بالصحيفة:

١. جمَعَ شيخُ المُعْتَزِلَةِ بِشْرُ بنُ المعتَمِر (المتوفى ٢١٠هـ) في صَحيفَتِه بين القيمِ البلاغيّةِ والقيمِ النّقديّة ، ولذلك فهي تضع المنهجِ الصّحيحِ في الخِطابِ الأدبيّ المؤثّر في المتلقي.

٢. الترغيب في اغتنام وقت النشاط العقلي، وفراغ البال، وإجابة النفس بالمطاوعة وبالتجاوب وبالقدرة على إعمال الخيال. فإذا توافرت هذه المعطيات وهى: (النشاط . الفراغ . التجاوب)، فإن التوقيت مناسب، والفرصة سانحة للارتجال والخطابة أو التحبير والكتابة، حيث تكون النفس محبة للإبداع.

٣. الترهيب والتحذير من التوعر لأنه يؤدى إلى التعقيد.

٤. مراعاة النظير والتناسب عند اختيار الألفاظ والمعاني، وذلك بالملائمة بين اللفظ والمعنى، فالمعنى الكريم يقتضى لفظًا كريمًا.

٥. يجب على الخطيب أو الكاتب والأد يب مراعاة أقدار المعاني، وأيضًا مراعاة تناسبها وتماشيها مع أقدار المستمعين أو القراء والمتلقين، فما يخاطب به البدوي الذي يسكن البادية لابد أن يختلف عما يخاطب به الحضري الذي يسكن المدينة. فلكل واحد منهما الألفاظ والكلمات والتراكيب التي تتماشى معه، وتصل إلى وعيه، ويدركها ذهنه، ومن ثم يألف ويعي ما يسمع أو يقرأ. فلكل طبقة من الناس كلامًا خاصًا بها، ولكل مقام مقال، ولكل حادث حديث.

٦. البعد عن التكلف والميل إلى الطبع، والطبع هو السجية والارتجال، أو العفوية والتلقائية ، عند الخطابة وكذا عند الكتابة، فلابد من البعد عن تكلف الألفاظ وإجهاد الذهن في اختيارها حتى لا يضر ذلك بالمعنى.

٧. وصفت الصحيفة (البليغ التام): فهو الذي يتمكن من إيصال معاني الخاصة إلى العامة، فلابد من مخاطبة الناس على قدر عقولهم ومقاماتهم، فالخاصة لها مخاطبة تختلف عن العامة، ولكن البليغ التام هو من تمكن من اختيار ألفاظ واسطة فلا هي بالبليغة المستعصية على ذهن العامة ولا هي بالسوقية المبتذلة، بل هي ألفاظ جزلة تجمع بين الجزالة والسلاسة.

٨. يؤكد "بِشْر" على أن شرف المعنى واللفظ ليس "بأن يكون من معاني الخاصة " أو ألفاظهم، وإنما هو بتحقيق "الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال يناسبه".

٩. يؤكد بِشْر على دور النفس، حيث يرى أن نفوس المبدعين لا تجود بالإبداع سواء أكان خطابة أم كتابة إلا حين الرغبة، ووقت الشهوة، فمتى اشتهت النفس وهوت وراق لها ما تحب أخرجته على لسان صاحبها فخطب، أو أجرته على قلمه فصاغ وحبر وكتب ونمق ما تجود به نفسه وما يختلج بداخله.

٢. الممارسات النقدية فى العصر الجاهلى.

الأسواق والنقد الأدبى:

ولقد دارت حول الشعر حركة نقدية لقيمته وأهميته، ومن أجل تنقيح ما يشوبه من لحن أو خلل . وكانت الأسواق مركزًا رئيسيًا لهذه الحركة النقدية. فلم يقتصر السوق على حركة التداول والبيع والشراء فحسب، بل كان السوق محفلاً مهمًا قصده الشعراء من كل حدب وصوب، فيه يلتقون، ويتناشدون على مسمع ومرئي من الناس ، ومن السوق يُعرفون ويذاع ما ينظمون وبذلك تتردد أسماؤهم وتنشر أشعارهم.

ففي الأسواق نشأت المساجلات، وأعلنت المحاكمات بين الشعراء. فكان الشعراء يتحاكمون فيما شجر بينهم . وفي سوق "عكاظ" ضُربت خيمة، لها قبة حمراء اللون ليعرفها الناس، وفيها جلس "النابغة الذبياني" حيث وفد الشعراء يحتكمون إليه.

كانت خيمة "النابغة الذبياني" أشبه ما تكون بالصالون الأدبي أو بالمؤتمر النقدي، فقد جاء إلى خيمته الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء ...

وفى هذا السياق يذكر "أبو الفرج الأصبهانى" في كتابه "الأغاني":

«إن نابغة بني ذبيان كان تضرب له قُبة من أدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها:

(قذى بعينك أما بالعين عوار).

حتى انتهت إلى قولها:

(وإن صخرًا لتأتم الهداة به *** كأنه علمٌ في رأسهِ نار).

فقال : لولا أن أبا بصيرٍ أنشدني قبلك لقلت : إنك أشعر الناس!

فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها .قال : حيث تقول ماذا؟ قال : حيث أقول:

لنا الجَفنَاتُ الغرُّ يلمعْنَ في الضُّحى *** وأسيافُنا يقطرْنَ من نجدةٍ دَمَا

ولدْنا بني العنقاءِ وابني محرِّقٍ *** فأكرمْ بنا خالاً وأكرمْ بنا ابنما

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك.

وفي رواية أخرى:

فقال له: إنك قلت "الجفنات" فقللت العدد ولو قلت" الجفان" لكان أكثر . وقلت: " يلمعن في الضحى" ولو قلت:" يبرقن بالدجى" لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقًا. وقلت: "يقطرن من نجدة دمًا" فدللت على قلت القتل ولو قلت "يجرين" لكان أكثر لانصباب الدم . وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسرًا منقطعًا»

==========

أ – الحوليات.

تثقيف الشعر .. الحوليات:

إن الإنسان كلما أحس بأن هناك من يقف له بالمرصاد، راصدًا لعمله أو مراقبًا لفعله أو متعقبًا له بالنقد كلما دفعه ذلك إلى بذل ما في وسعه من أجل تجويد عمل ه والصبر عليه ليخرج إلى الناس في أحسن صورة . ولعل أقدم صورة للنقد الأدبى هى نقد الشاعر لما ينتجه، حيث يعتمد فى ذلك على دربة ومران وسعة إطلاع، فكل شاعر متمرس هو ناقد بالفعل لنصه الأدبى. وينطبق هذا على الشاعر والناقد، لأن خوف الشاعر من توجيه النقد اللاذع إلى قصيدته كان وازعه أو دافعه نحو التنقيح والتثقيف.

قام الشعراء بعملية تثقيف تجاه شعرهم، عن طريق الزيادة والنقصان أو التقديم والتأخير . ويمثل التثقيف مظهرا من مظاهر الحس النقدي لدى شعراء الجاهلية، وخاصة "زهير" صاحب الحوليات، فالشعراء يتوجهون إلى شعرهم، فيتدارسونه ويراجعونه ويحذفونه منه، ويضيفون إليه في تبصر وعمق. وكان كل هذا ضربا من الممارسة النقدية على نصوصهم الشعرية.

فلم يقبل الشعراء ـ بخاصة القدماء ـ كل ما يرد على خواطرهم بل ما يزالون ينقحون حتى يظفروا بأعمال جليلة، وهي أعمال كانوا يجيلون فيها الفكر متكلفين جهودا شاقة في التماس المعنى المصيب تارة، والتماس اللفظ المتخير تارة ثانية . يقودهم في ذلك بصر محكم يميزون به المعاني والألفاظ بعضها من بعض، بحيث يصونون كلامهم عما قد يفسده أو يهجنه ومن ذلك قول "عدي بن الرقاع":

وَقَصِيدَةٍ قد بتُّ أجْمَعُ بينها حتى أُقَوِّم مَيْلها وسِنادَها

نظرَ المثقِّف في كعوبِ قناتِه حتى يُقيم ثِقافُه مُنْآدها

٣. مقاييس النقد فى العصر الإسلامى.

مقاييس نقد الشعر فى صدر الإسلام

هل كان للنبي ﷺ دور في نقد الشعر؟ وهل تعرض لشعر ما بالنقد؟ وما هى الأسس والمقاييس التي أقام عليها النبي موقفه من الشعر ونقده له؟

كان النبي ﷺ ينظر إلى الشعر من منظور ديني إسلامي، ويقيس ما ينظمه الشعراء بمقاييس القرآن الكريم، وما جاء به من فضائل، وما حث عليه من مكارم الأخلاق مثل: الصدق والتسامح والتواضع والعدل والإحسان والخلق الحسن، والسلوك القويم في القول والفعل، وكل هذا يبتعد عن العادات الجاهلية، كما يبتعد عن الفخر بالعصبية القبلية، وعلى هذا الأساس كان يتعرض الرسول ﷺ للشعر بالنقد، كما حرص ﷺ على التبين أو التأكد من قصد الشاعر، فإما أن يقره على قوله أو يستبدله بغيره. ومن الشواهد الدالة على ذلك:

موقف النبي ﷺ مع "النابغة الجعدى"، حيث يروى "ابن قتيبة": «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جاءَ بالهُدَى *** ويَتْلُو كتاباً كالمجَرَّةِ نَيِّرَا
بَلَغَنا السَّماءَ مَجْدَنا وجُدُودُنا *** وإِنَّا لنَرْجُو فَوْقَ ذلك مَظْهَرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إلى أين يا أبا ليلى"؟ فقال: إلى الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن شاء الله" وأنشده:

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إِذَا لم تَكُنْ له *** بَوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرا
ولا خَيْرَ في جَهْلٍ إِذَا لم يكن له *** حَلِيمٌ إِذَا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يفضض الله فاك": قال: فبقي عمره لم تنفض له سنٌّ»(١).

ومن الملحوظ في النص السابق أن "النابغة الجعدى" عندما يقول:

بَلَغَنا السَّماءَ مَجْدَنا وجُدُودُنا *** وإِنَّا لنَرْجُو فَوْقَ ذلك مَظْهَرا

ففي الشطر الأول من البيت يظهر فخر واضح بالأمجاد والجدود التي بلغت عنان السماء، وهذا يدفع إلى الظن في أن الفخر هنا يدخل في إطار العصبية القبلية خاصة بعد ذكر المجد والجدود، وفوق كل هذا يرجو الشاعر مظهرًا، ولم يبنْ الشاعر عن هذا المظهر. ولعل هذا ما دفع النبي ﷺ إلى السؤال: **"إلى أين يا أبا ليلى"**؟ ويكمن في هذا السؤال رغبة في معرفة نهاية الغاية التي قصدها الشاعر، أو المكان الذي يريد الوصول إليه أو المظهر الذي يرجوه، أو المعنى الذي يكمن في باطنه .كما يُقال المعنى في بطن الشاعر . هل يريد الشاعر أن يرتد إلى فخر الجاهليين والعصبية القبلية حيث مجد الأجداد؟! ... من أجل كل هذا أراد النبي ﷺ أن يتحقق من وجهة الشاعر ومقصده ولهذا سأله: إلى أين؟ ويجيب الشاعر: إلى الجنة. وهنا يطمئن قلب النبي ﷺ ويرتاح باله، لأن خاطر الشاعر ورغبته وما في بطنه من المعنى لم يرد إلا الجنة، فيقول له النبي ﷺ (إن شاء الله).

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ـ مرجع سابق ـ ص٢٠٩.

وفى البيتين الأخيرين: ولا خَيْرَ في حِلْمٍ ... يحث الشاعر على الحلم والعقل فيضمن في شعره أخلاقًا محمودة دعا إليها الإسلام وحث عليها النبي ﷺ ولهذا يدعو له: "لا يفضض الله فاك"، فما دام أن القول محمود من الشاعر إذن فليس له جزاء إلا الدعاء، ولقد استجاب الله لدعوة نبيه ﷺ فبقي "النابغة الجعدى" . رغم تقدم عمره . لم تنفض له سنٌّ.

مقاييس نقد الشعر عند الخلفاء الراشدين

لم يختلف مسلك الخلفاء الراشدين عن مسلك النبي ﷺ في نقد الشعر، حيث: «سلك الخلفاء الراشدون وغيرهم من أهل التقوى والورع، السبيل التي سلكها رسول الله ﷺ فأعلنوا رضاهم عن كل شعر فيه إشادة بالعقائد والأخلاق والمثل العليا التي رسمها الإسلام، وأيدوا سخطهم على كل قول، يناهض تلك المثل الإسلامية الرفيعة، أو يشجع الرذائل ويشيع الفاحشة ومساوئ الأخلاق في الناس، أو يؤثر الدنيا على الآخرة»(٢).

كان أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ يُقدم "النابغة الذبيانى" على الشعراء، ويقول: (هو أحسنهم شعراً، وأعلمهم بحراً، وأبعدهم قعراً).

كما كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يفضل شعر زهير بن أبى سلمى فيذكر "ابن رشيق" في كتابه "العمدة" قائلاً: «وروى ابن سلام يرفعه عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنشدني لأشعر شعرائكم، قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: ولم كان كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام: قال أهل النظر: كان زهير أحصفهم شعرًا، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من المنطق، وأشدهم مبالغة في المدح»(٣).

ويلاحظ أن نقد عمر بن الخطاب رضي الله عنه للشعر كان نقدًا أخلاقيًا، فعندما أنشده «سُحَيْمٌ عبدُ بني الحسحاس(*) قال له عمر بن الخطاب رحمه الله وأنشده قصيدته التي أولها:

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزتَ غادياً*** كفى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرءِ ناهياً

فقال له عُمر: لو قدَّمتَ الإسلامَ على الشَّيب لأجزتكُ»(٤).

ويذكر "الجاحظ" فى كتابه: "البيان والتبيين" استحسان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ للشعر وعلمه به وترديده له، وهو استحسان أخلاقي أيضًا فيقول:

«كان عمر بن الخطاب – رحمه اللّه – أعلَم الناسِ بالشِّعر ولكنه كان إذا ابْتُلِيَ بالحُكْم بين النجاشيّ والعَجْلاني وبين الحطيئة والزِّبْرِقان كره أن يتعرَّضَ للشُّعَراء ...

ولقد أنشدوه شعرًا لزهير ـ وكان لشعره مقدِّمًا ـ فلما انتهوا إلى قوله:

وإنّ الحقَّ مَقْطَعُه ثلاثٌ *** يمينٌ أو نِفار أو جِلاءُ(*).

---

(٢) محمد كريم: البلاغة والنقد: المصطلح والنشأة والتجديد ـ مرجع سابق ـ ص١٤٨.

(٣) ابن رشيق القيرواني: العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده ـ مرجع سابق ـ ص٩٨.

(*) هو شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان عبدًا حبشيًا شديد السواد، وفى لسانه لكنة فكان يقلب الشين إلى سين.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ـ ص ص ٧١ ـ ٧٢.

(*) عندما أنشد هذا البيت على عمر بن الخطاب راق له وتعجب من حسن التقسيم به وأخذ يردده كالمتَعجِّب مِن علم الشاعر بالحقوق وتفصيله بينها وإقامته أقسامَها: والبيت: (وإنّ الحقَّ مقطعهُ ثلاثٌ يمين أو نِفَارٌ أو جِلاءُ) معناه: أى الوصول إلى الحق والعدل فى حالة التخاصم يكون بالقسم وحلف

يردِّدُ البيتَ من التعجُّب.

وأنشدوه قصيدةَ "عَبْدَةَ بنِ الطيب" الطويلةَ التي على اللاّم فلما بلغ المنشد إلى قوله:

والمرء ساعٍ لشيء ليس يدركُه *** والعيش شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ

قال عمر متعجِّباً:

(والعيش شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ)

يعجِّبهم من حسن ما قسَّم وما فصَّل.

وأنشدوه قصيدة أبي قيس بن الأسلت التي على العين وهو ساكت فلما انتهى المنشد إلى قوله:

الكَيْسُ والقُوَّةُ خيرٌ من ال - إشْفاقِ والفَهّةِ والهَاعِ(*).

أعاد عمر البيت وقال:

الكَيس والقُوَّةُ خيرٌ من ال – إشْفاقِ والفَهّةِ والهَاعِ.

وجَعل عمر يردِّد البيت ويتعجب منه.

قال محمّد بن سلام عن بعض أشياخه قال: كان عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه لا يكاد يعرِض له أَمرٌ إلاّ أَنشَدَ فيه بيتَ شِعر»(٥).

«وكان الحطيئة جاور الزبرقان بن بدرٍ، فلم يحمد جواره، فتحول عنه إلى بغيضٍ فأكرم جواره، فقال يهجو الزبرقان ويمدح بغيضًا:

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ أَنْ رَأَى رَجُلاً *** ذَا حاجَة عاشَ في مُسْتَوْعَرٍ شَاسِ

جاراً لِقَوْمٍ أَطالُوا هُونَ مَنْزِلِه *** وغادَرُوهُ مُقيماً بينَ أَرْمَاسِ

مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلاَبُهُمُ *** وجَرَّحُوهُ بأَنْيابٍ وأَضْرَاسِ

دَعِ المكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا *** واقْعُدْ فإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

اليمين أو بالنفار أى الذهاب إلى حاكم أو قاضى ليفصل فى الأمر أو بالصلح والتسامح. ولعل استحسان "عمر" لهذا الشعر يأتى بسبب انسجامه مع ما جاء به الإسلام، فنحن نعلم أن: ((البينة على من ادعى واليمين على من أنكر)).

(*) الفهة: العىّ والسقطة والجهالة. الهاع: شدة الحرص والبخل.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ـ ج١ ـ ص ص ٢٣٩ ـ ٢٤١.

فاستعدى عليه الزبرقان "عمر بن الخطاب" ـ رضي الله عنه ـ وأنشده آخر الأبيات فقال له عمر: ما أعلمه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعمًا كاسيًا؟ قال: إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فسأله عن ذلك، فقال: لم يهجه ولكن سلح عليه! فحبسه عمر، وقال: يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين، فقال وهو محبوسٌ:

ماذا أَرَدْتَ لأَفْرَاخٍ بذِي مَرَخٍ *** حُمْرِ الحَوَاصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ.
أَلْقَيْتَ كاسِبَهُم في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ *** فاغْفِرْ عليكَ سَلاَمُ اللهِ يا عُمَرُ.

فرق له عمر وخلي سبيله، وأخذ عليه ألا يهجو أحدًا من المسلمين»(٦).

ومن الشعراء المخضرمين "لبيد بن ربيعة" الذي انصرف عن قول الشعر نهائيًا بعد دخوله في الإسلام، حيث وهب حياته لتلاوة القرآن، وفى هذا السياق يُحكى أن عمر بن الخطاب τ.

«كتب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة، أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا فى الإسلام ... فأرسل إلى لبيد وقال: أنشدني، فقال: إن شئت ما عفي عنه (يعنى الجاهلية) فقال: لا، أنشدني ما قلت فى الإسلام، فانطلق فكتب سورة البقرة فى صحيفة، ثم أتى بها، وقال: أبدلني الله هذه فى الإسلام مكان الشعر، فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فأمره أن يزيد فى عطاء لبيد»(٧).

ولعل أهم ما يلفت انتباهنا فى هذا الخبر أن الخليفة الرشيد عمر بن الخطاب τ يريد من كتابه إلى واليه على الكوفة أن يستوثق من أمر الشعراء، الذين دخلوا فى الإسلام، فيأمر واليه أن يستنشدهم ما قالوه بعد دخولهم فى الإسلام، ربما ليقف على حقيقة شعرهم، وهل ما زالت رواسب الجاهلية فيه، أم تركوها وتنحوا عنها، ولما يثبت له أن لبيد قد انصرف عن الشعر واستبدله بالقرآن، هنا يأمر واليه أن يزيد من عطاء لبيد، وكأن زيادة العطاء بمثابة الجائزة والمكافأة ليحفز غيره من الشعراء على أن يكونوا مثله.

وهذه "الخنساء" التي أجادت فن الرثاء في الجاهلية وشهد لها "النابغة" بتفوقها وانفرادها في هذا الفن، حتى اشتهرت ببكاء ورثاء لأخيها "صخر"، ولكن بعد دخولها في الإسلام لم تعد ترثى أهلها كما كانت تفعل في جاهليتها «فلما أسلمت وجاءها خبر مقتل بنيها الأربعة، في موقعة القادسية، في خلافة عمر، سجدت لله شكرًا، لأنه شرفها بقتلهم»(٨).

وإذا كان من حقنا أن نتخيل حال هذه الشاعرة وهى المرأة الثكلى التى فقدت بنيها، وقد أتاها نبأ موتهم وهى لا تزال فى الجاهلية أو بعيدة عن الإسلام، لا شك أن طبيعة تلقيها لهذا النبأ كانت ستختلف بشكل كبير.

---

(٦) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ـ مرجع سابق ـ ج١ ـ ص٢٤٥.

(٧) د. صلاح الدين الهادى: الأدب فى عصر النبوة والراشدين ـ مرجع سابق ـ ص٢٩.

(٨) السابق نفسه: الصفحة نفسها.

«ويروى أن أعرابياً وقف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال :إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك، فقال له علي : خط حاجتك في الأرض، فإني أرى الضر عليك، فكتب الأعرابي على الأرض إني فقير فقال له علي : يا قنبر؛ ادفع إليه حلتي الفلانية، فلما أخذها مثل بين يديه فقال:

كسوتني حُلة تبلى محاسنها *** فسوف أكسوك من حسن الثّنا حللا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه *** كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدَّهر في عُرف بدأتَ به *** فكل عبدٍ سيجزى بالذي فعلا

فقال علي : يا قنبر، أعطه خمسين دينارًا، أما الحلة فلمسألتك، وأما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أنزلوا الناس منازلهم"»[٩].

يقول كثير عزة:

رُهبانُ مَديَنَ وَالَّذينَ عَهِدتُهُم *** يَبكونَ مِن حَذَرِ العَذابِ قُعودا
لو يَسمَعونَ كَما سَمِعتُ كَلامَها *** خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وَسُجودا

وبسبب البيتين السابقين امتنع "عمر بن عبد العزيز" عن الإذن لكثيّر بالدخول عليه لما ولي الخلافة.

أطيب المنى
د. أحمد شحاتة علوانى ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية

(٩) ابن رشيق: العمدة ـ ج ١ ـ ص٢٩.